وجوه التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم

قصي علي السعود: محاضر بقسم تعليم اللغة العربية، كلية التربية وتدريب المعلمين جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية – بند أتشيه

مستخلص

والغاية من تدريس البلاغة يتجلى في تمكين الناشئة من استعمال اللغة في نقل أفكارهم وتصوراتهم إلى غيرهم بطريقة تسهل لهم معرفتها وادراكها وتقوية قدرتهم على استيعاب الأفكار التي اشتملت عليها النصوص البلاغية وتذوق مافيها من جمال وجذابة. ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم الذي أنزل باللغة العربية بؤرة الأدب والبلاغة وهو منهل لمن يريد ان يستسقي ويتعمق في دقة بحار المعاني وجمال أسلوبه. فصور التشبيه التمثيلي إحدى الأساليب البلاغية في القرآن الكريم التي يلتفت إليها كل من شغف في فهم الإشارات المتضمنة من الآيات القرآنية.

Kata Kunci: Al Qur'an al Karim, Al Tasybih al Tamtsily

مقدمة:

قبل الخوض في لب التشبيه التمثيلي وخاصة وجوه التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم نرى بداية أنه من المتوجب علينا الإشارة إلى أن وصفنا لهذا التوجه البلاغي فنقدم تلخيصاً لكلام الدكتور عبد الفتاح لاشين عن تعريف علم البيان ومباحثه فقد تحدّث عن ذلك في كتاب البيان في ضوء أساليب القرآن فقال:

جاء في اللسان البيان : الفصاحة واللسن. وكلام بين: فصيح، والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبين من الرجال: السمح اللسان، الفصيح الظريف، العالي الكلام،

القليل الرتج، وفلان أبين من فلان أي أفصح منه لساناً وأوضح كلاماً، ورجل بين فصيح . قال الشاعر:

قد ينطق الشعرَ الغبيّق ويلتئي * على البيّن السفّاك وهو خطيب

فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف والإيضاح وعُلو الكلام وإظهار المقصود بأبلغ لفظ. وظنت كلمة ((البيان)) يراد بها هذه المعاني العامّة حتى عرف الجاحظ ((ت ٢٥٥ هـ)) حيث قال عنه : ((البيان)) اسم جامع لكل شي كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغ الإفهام وأوضح المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.والرماني ((ت ٣٨٦ هـ)) قال: ((البيان، هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك، والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة.و الكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء عن غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان، كالكلام المخلط، والمحال الذي لا يفهم به معنى، وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن من قبل أن قد يكون على عيّ وفساد.

وعبد القاهر الجرجاني ((ت ٤٧١ هـ)) جعل الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان، تدلّ على معنى واحد أو متقارب، وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا، وتكلّموا، وأخبروا السامعين عن مقاصدهم وأغراضهم وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم. فالبيان عند عبد القاهرالجرجاني يتغير عن ذي قبل، ولا زال المقصود منه معنى الكشف والإيضاح عماّ في النفس، والدلالة عليه.

خلاصة الكلام إن موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحو يشتركان في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة خاصّة، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب.

وكان القدماء يذهبون في بيان معنى كل من البلاغة والفصاحة هذه المذاهب، إلى أن جاء عهد تدوين العلوم التي تبحث في أمرهما فأخذ العلماء يقربون من تحديدمعناها[1]. وظلّ هذا المفهوم الواسع لكلمة ((البيان)) حتى ظهر في خوارزم السكاكي ((ت ٦٢٦ هـ)) فحجر ما كان واسعاً ووضع للبلاغة قواعدها المنطقية، وقسمها إلى ((المعاني والبيان، وألحق بهما المحسنات)) وجعل لكل قسم تعريفاً وحداّ.

وقد عرف البيان، فقال: هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلم لتمام المراد منه. فالسكاكي خصص ((البيان)) وجعله قسماً مستقلاً من علوم البلاغة وأصبحت البلاغة العربية عنده قسمين:

١- صنف يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الأحوال، وهو ((علم المعاني)).

٢- صنف يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه، فقد يُنطق باللفظ ولايراد به منطوقه، بل يراد به لازمه، وإن كان مفرداً كقولك: أسد، فلا تريد حقيقة الأسد المنطوقة وإنما تريد شجاعته اللازمة وتسندها إلى زيد، وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه، كما تقول: زيد كثير الرماد، وتريد ما لزم ذلك، وهو الجود وقرى الضيف، لأن كثيرة الرماد ناشئة

---

[1] البلاغة العالية علم المعاني، مكتبة الاداب، القاهرة، ص. ٧.

عنها، فهي دالة عليها، وهذه كلها دلالة زائدة عن دلالة الألفاظ من المفرد والمركب وهذا هو علم البيان.

وبذلك أصبحت كلمة ((البيان)) ينطق على معنيين:

١- معنى أدبي أوسع وأشمل، يشمل الإيضاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني، والأفكار والأحاسيس، والمشاعر، بأساليب لها حظها الممتاز من الدقّة، والإصابة والوضوح والجمال، وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، وهذا المعنى هو المراد عند إطلاق لفظ ((البيان)).

٢- معنى علمي ضيق: وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كما سبق [٢].

أ- تطور التأليف في التشبيه

لم يعن القدماء بحدّ التشبيه حداً يضبطه كما فعل المتأخرون، وإنما عرفوه صورة توضح الفكرة، وتحسّن المعنى ولم يبحث التشبيه بحثاً مستقلاً في باب إلا عند المبرد ((ت ٢٨٥)). والواقع أن بحث التشبيه قبل المبرد كان مبثوثاً في دراسات السابقين، فقد يأتي التشبيه في خلال بحث أي موضوع بعيد عن التشبيه ولكن الحديث يتطرق إليه. لذلك لم يكن الحديث عن التشبيه قبل المبرد هو الغاية الأولى للبحث وإنما كان يأتي الحديث عنه عفواً. والخليل بن أحمد مثلا ((ت ١٧٥ هـ)) عرف التشبيه تمثيلاً وصورة وعرف طرفين في مثال أتى به لبيان جواز وصف النكرة في مثل: ((له صوت صوت الحمار)). وكذلك سبويه ((ت ١٨٠ هـ)) تحدث عن التشبيه من خلال موضوع الاتساع والاختصار فيقول: ((ومثله في

---

[٢] عبد الفتاح لاشين، الدكتور: البيان في ضوء أساليب القرآن،الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٥، ص: ٨-١٢.انظر عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الادب، القاهرة، ص. ١٧

الاتساع قوله عزوجل: وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ

(سورة البقرة آية :١٧١)، فلم يشبّهوا بما ينعق، وإنما شبّهوا بالمنعوق، وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى.

وقد رأينا أبا عبيدة قبل الفراء قد تناول التشبيه بذكر الطرفين والوجه، ولم يكن الفراء سباقا في هذا المضمار، وإنما كان سالكاً طريق أبي عبيدة، وليس صاحب الفضل الأول في ذلك، وربّما كان الفراء أكثر تفصيلاً من سابقه أبي عبيدة، ولكنه بهذا التفصيل لم يضف شيئًا إلى ما قاله أبو عبيدة من ذكر الطرفين والوجه، فكان اختلافه عنه مجرّد اختلاف في الأسلوب دون الفائدة أو بعبارة أخرى اختلاف في الكم لا في الكيف[٣].

ولما جاء الجاحظ ((٢٥٥ هـ)) تناول فيما تناول التشبيه، وألقى ضوءًا على جملة من قضاياه.

١- عقد موازنة بين قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ((الناس كلهم سواء كأسنان المشط))، وقول كثير عزة:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى * لذي شيبةٍ على ناشئٍ فضلا

حيث يقول : إذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي وحقيقته ، عرفت فضل ما بين الكلامين

٢- رأى أن التشبيه في كل أحواله يفيد الغيرية لا العينية وأن وجه الشبه يكتفى فيه أن يكون وصفاً يجمع بين الطرفين، فلا ينظر إليه على جهة

---

[٣] عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، الطبعة الثانية، دار النهضة، القاهرة – مصر، بدون السنة، ص:٦٥

الاستيعاب، وإنما ينبّه الخاطر فيه إلى الصفة البارزة في المشبه به، فليس الطاووس بأحسن من الإنسان، ولا الفرس الرائع. وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه وتلوينه.

٣- أورد كثيراً من التشبيهات الواردة عن العرب كتشبيه الأبكار ببيض النعم، والغيوم بصور النعام، كما أورد كثيراً من التشبيهات المبتكرة والنادرة.

٤- بيّن لأبناء عصره الوصف الجامع بين طرفي التشبيه في قوله تعالى : ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها...)) سورة الأعراف آية ١٧٥.

فالجاحظ وإن لم يضع حدوداً واضحةً للتشبيه، فقد أفاد إلى حدّ كبير، وألقى ضوءاً على جملة من قضاياه مما أعان المتأخّرين على إتمام الصورة من بعده.

ويأتي المبرد ((ت ٣٨٥ هـ) فنجده العالم الذى له الفضل على البلاغة العربية لهذا الباب الذى عقده في التشبيه، وقد اعتمد فيه على استقرائه للشعر العربي وجمع الشواهد الشعرية، مما حقق له إفراد باب كامل في موضوع التشبيه في كتابه ((الكامل)).

ومع أنه بين الغرض من تأليفه الكتاب، فقال: المنية أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح فيه ما يعرض من الإعراب شرحاً شافياً يكون هذا الكلام بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً. وهذا غرض لغوي يصرف ملتمس البلاغة عن النظر في الكتاب، لكن بالكتاب أبحاثًا بلاغية لا نجد لها مثيلاً عند معاصريه[٤].

ج- الفرق بين التشبيه والتمثيل

---

[٤] عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية

تحدث أبو عبيدة عن التمثيل وهو عنده التشبيه أو تشبيه التمثيل، قال في تفسير قوله تعالى: أفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. سورة التوبة آية ١٠٩.، ومجاز الآية مجاز التمثيل، لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه.

ولعل قدامة بن جعفر كان أول من عدّ التمثيل مخالفًا للتشبيه، وهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى. قال في تعريفه: هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدلّ على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه. ومثال ذلك قول الرماح بن ميّادة:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني * فلا تجعلنّي بعدها في شمالكا

ولو أنني أذنبتُ ما كنت هالكا * على خصلة من صالحات خصالكا

فعدل عن أن يقول في البيت الأول: إنه كان عنده مقدمًا فلا يؤخره أو مقربا فلا يبعده، أو مجتبى فلا يجتنبه، إلى أن قال في يمنى يديه فلا يجعله في اليسرى، ذهابا نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والابداع في المقالة.

وهذا هو التمثيل عند قدامة أما التشبيهات المركبة الأخرى فلا تدخل فيه، ولذلك تحدث عنها في موضع آخر من كتابه ((نقد الشعر)) وقال: وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن فمنها: أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة.

ومنها أن يشبه شيئ بشيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير.

ومنها، أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال ولم يسمها تمثيلا وإنما هي تشبيهات مختلفة.

وفسر بن سنان التمثيل كما فسره قدامة وذكر أمثلته وهو عنده من نعوت الفصاحة والبلاغة، وسبب حسنه مع ما يكون فيه من الإيجاز أن تمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة.

وفسره ابن أبي الاصبع مثل هذا التفسير، ونقل تعريف قدامة وبعض أمثلته، وألحق به ما يخرج المتكلم مخرج المثل السائر كقوله تعالى:
لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (سورة النجم آية: ٥٨)، وقوله أيضا:
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (سورة النمل آية :٨٨). وكقوله – عليه السلام – ((الحلال بين، والحرام بين)) وقول النابغة الذبياني:
ولستَ بمستبق أخًا لا تلمّه * على شعثٍ أي الرجل المهذّب

والتمثيل هو المماثلة عند بعضهم كأبي الهلال العسكري الذي ذكر بعض أمثلة قدامة في التمثيل، والباقلاني الذي قال : ومما يعدونه من البديع المماثلة، وهو ضرب من الاستعارة سمّاه قدامة التمثيل. والتمثيل عند ابن رشيق من ضروب الاستعارة وهو المماثلة وذلك أن تمثل شيئا بشيء فيه إشارة كقول امرئ القيس:
وما ذرفت عيناك إلاّ لتقدحى * بسهميك في أعشار قلب مقتّل

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعنى المعليّ وله سبعة أنصباء، والرقيب وله ثلاثة أنصباء، فصار جميع أعشار قلبه للسهمين الذين مثل بهما عينيها، ومثل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل.

وذكر أن معنى التمثيل أيضا اختصار قولك، مثل كذا وكذا، ثم قال : والتمثيل والاستعارة من التشبيه غير أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه.

وكان عبد القاهر الجرجاني من أوائل الذين وضعوا حدًا واضحًا بين التشبيه والتمثيل حينما قسّم التشبيه إلى ضربين:

أحدها: أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمر بين لايحتاج فيه إلى تأويل كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل وكالتشبيه من جهة اللون، ومن جهة الصورة واللون، أو من جهة الهيئة ويكون الوجه فيه عقليا حقيقيا أي ثابتا في ذات الموصوف كالأخلاق والغرائز والطباع، والشبه في هذا لا يجري فيه التأويل ولا يفتقر إليه في تحصيل، قد يسمى هذا الضرب ((التشبيه)) أو ((التشبيه الظاهر)) أو ((التشبيه الصريح)) أو ((التشبيه الأصلي الحقيقي)).

وثانيهما، أن يكون التشبيه محصّلاً بضرب من التأويل مثل: هذه حجة كالشمس في الظهور. فذلك تشبيه لا يتم إلا بتأول، وذلك أن نقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لنا، ولا يظهر إذا كنا من وراء حجاب أو لم يكن بيننا وبينه ذلك الحجاب. ثم نقول : إن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين، أن ترى ما وراءه، ولذلك توصف الشبهة بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده. فإذا ارتفعت الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحجة على صحة ما ادعى من الحكم، قيل: هذا ظاهر كالشمس، أي ليس ههنا مانع عن العلم به ولا للتوقف والشك فيه مساغ، وإن المنكر له إما مدخول في عقله أو جاحد مباهت ومسرف في العناد، كما أن الشمس الطالعة لا يشك فيها ذو بصر ولا ينكرها إلا من لا عذر له في إنكاره. ونحن نحتاج إلى مثل هذا التأول في تحصيل الشبه الذي اثبتناه بين الحجة والشمس في حين لا يحتاج إلى ذلك في الضرب الأول من التشبيه.

ويتفاوت هذا الضرب في التأويل ، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ويعطى المقادة طوعا حتى إنه يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة.

فمما هو قريب المأخذ سهل المأتي قولهم في صفة الكلام: ألفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاوة. يريدون أن اللفظ لا يستغلق ولا يشتبه معناه ولا يصعب الوقوف عليه. وليس هو بغريب وحشي يستكره. لكونه غير مألوف، أو ليس في حروفه تكرير وتنافر يكدّ اللسان من أجلهما فصارت لذلك كالماء الذي يسوغ في الحلق والنسيم الذي يسري في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ويهدى إلى القلب روحا ويوجد في الصدر انشراحًا ويفيد النفس نشاطا، وكالعسل الذي يلذ طعمه وتهشّ النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه. فهذا كله تأوّل وردّ شيءٍ إلى شيء بضرب من التلطف وهو أدخل قليلا في حقيقة التأول، وأقوى حالاً في الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس.

وهذا هو التمثيل عند عبد القاهر، فكل تشبيه يكون الوجه فيه حسيًا مفردًا أو مركبًا أو كان من الغرائز والطباع العقلية الحقيقة فهو تشبيه غير تمثيلي، أما إذا كان وجه الشبه فيه عقليًّا مفردًا أو مركبًا غير حقيقي ومحتاجًا في تحصيله إلى تأول فهو ((تشبيه تمثيلي))، وهذا هو الفرق بين الضربين، وإن كان الأول عاما والثاني خاصا، ولذلك قال: إن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاويرى السكاكي أن تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه وصفًا غير حقيقي بمعنى أن يكون مركبًا عقليًا[٥].

---

[٥]أحمد مطلوب، الدكتور: فنون البلاغة، البيان – البديع، الطبعة الثانية : دارالبحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥ م : ٥١ – ٥٦.

د- بعض وجوه التشبيه التمثيل في القرآن الكريم

لقد أحصى ابن القيم في كتابه ((الأمثال في القرآن)) وهي ثلاثة وأربعون مثلا، في البقرة تسع أيات: ((كمثل الذى استوقد ناراً)) رقم : ١٨ ((أو كصيب)) رقم ١٩ ((أن يضرب مثلا ما بعوضة)) رقم ٢٦. ((ومثل الذين كفروا)) رقم : ١٨١. ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله)) رقم ٢٦١. ((فمثله كمثل صفوان)) رقم: ٢٦٤. ((ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله)) رقم: ٢٦٥. ((أيود أحدكم)) رقم: ٢٦٦. ((كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان)) رقم: ٢٧٥.

وفي آل عمران آيتان: ((وكنتم على شفا حفرة من النار)) رقم: ١٠٤ ، ((مثل ما ينفقون)) رقم: ١١٧، وفي الأنعام آية واحدة ((كالذى استهوته الشيطان)) رقم: ٧١. ((وفي الأعراف واحدة : ((فمثله كمثل الكلب)) رقم: ١٧٤. وفي يونس واحدة: ((إنما مثل الحيوة الدنيا)) رقم: ٢٤، وفي هود واحدة ((مثل الفريقين)) رقم: ٢٤. وفي الرعد ثلاث آيات: ((الا كباسط كيفيه إلى الماء)) رقم : ١٤. ((وأنزل من السماء ماء فسألت أودية بقدرها)) رقم: ١٧. ((مثل الجنة)) رقم: ٣٥. وفي إبراهيم ثلاث آيات: ((مثل الذين كفروا بربهم)) رقم: ١٨، ((كيف ضرب الله مثلا)) رقم: ٢٤. ((مثل كلمة خبيثة))رقم ٢٦. وفي النحل ثلاث آيات: ((ضرب الله مثلا عبدا مملوكا)) رقم: ٧٥، ((ضرب الله مثلاً رجلين)) رقم: ٧٦، ((واضرب لهم مثلاً قرية)) رقم: ١١٢. وفي الكهف : ((واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا)) رقم: ٤٥. ((واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا)) رقم: ٣٢. وفي الحج آيتان: ((فكأنما خَرَّ من السماء)) رقم: ٣١، ((ضرب مثل)) رقم: ٧٣. وفي النور آيتان: ((مثل نوره)) رقم ٣٥. ((أعمالهم كسراب بقيعة)) رقم: ٣٦. وفي العنكبوت آية واحدة: ((مثل الذين اتخذوا من دون الله

أولياء كمثل العنكبوت)) رقم: ٤١. وفي الروم آية واحدة : ((ضرب لكم مثلا من أنفسكم)) رقم: ٢٨. في يس واحدة: وضرب لنا مثلا)) رقم: ٧٨. وفي الزمر آية واحدة : ضرب الله مثلا رجلاً)) رقم:٢٩. وفي سورة محمد آيتان: ((نظر المغشي عليه من الموت)) رقم: ٢. ((مثل الجنة)) رقم: ١٥. وفي الفتح آية واحدة: (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل)) رقم: ٢٩. وفي الحشر آيتان: ((كمثل الذين من قبلهم)) رقم: ١٥. ((كمثل الشيطان)) رقم: ٥. وفي التحريم آيتان: ((ضرب الله مثلا للذين كفروا)) رقم: ١٠. ((وضرب الله مثلاً للذين آمنوا)) رقم: ١١.

وإذا نظرنا في هذه الآيات التي ذكرها ابن القيم نجد:

أولاً : أن كثيراً منها ليس من التشبيه التمثيلي

من ذلك قوله تعالى : ((إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً)) سورة البقرة: ٣٩. هذه الآية ليست من التشبيه أصلا. ومثل قوله تعالى: ((قالوا إنما البيع مثل الربا)) سورة البقرة: ٢٧٥. فهذا تشبيه مفرد، وقوله تعالى: ((كذلك يبين الله آياته لعلكم تهتدون)) سورة آل عمران : ١٠٣.

ومثل قوله تعالى: ((مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع))سورة هود: ٢٤. فهذا تشبيه مفرد.

وقوله تعالى: ((وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) سورة يس : ٧٨، ليس من التشبيه أصلا.

ثانياً: أن القرآن اتخذ صور التشبيه التمثيلي كلها من صور الحياة وظواهرها الطبيعية وكل ما يقع تحت نظر الإنسان وسمعه فنجد أن بعض هذه الصور تستخدم الحشرات مثل الذباب والعنكبوت والحيوان مثل الكلب والحمار. ومن النبات والشجر ومن الجبال والبحار ومن الماء والنار ومن التراب والرماد ولم

يترك شيئًا من البيئة التي يعيش فيها الإنسان إلا صنع منها أمثلة من التشبيه التمثيلي لتوضيح المعنى الذي يريده بأوضح صورة وأكمل معنى وفي هذا الفصل سأذكر بعض هذه الصور من التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم لنعرف ما فيها من بلاغة في البيان ودقة في المعنى.

أ- من الحشرات كالذباب والعنكبوت

١- منها قوله تعالى: ((يأيها الناس ضُرِبَ مَثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز)) سورة الحج: ٧٣. حقيقيا على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عليه وإعدام ما ضربه والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ولواجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب، وإذا سلبهم الذباب شيئا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذونه منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهية ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادها من دون الله تعالى، وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الألهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغني عن جميع المخلوقات وأن يعمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات، وإغاثة اللفهات،

وإجابة الدعوات، فأعطوها صوراً وتماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الإلهية الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ثم سوّى بين العابد والمعبود، في الضعف والعجز بقوله: ((ضعف الطالب والمطلوب)).

٢- وقوله تعالى : ((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)) سورة العنكبوت آية: ٤١. فذكر سبحان وتعالى أنهم ضعفاء، وإن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت واضعفها وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذهم أولياء إلا ضعفا.

وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، فإن قيل فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفي عنهم علم ذلك بقوله: ((لو كانوا يعلمون)) فالجواب أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت وإنما نفى علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه (كالعنكبوت اتخذت بيتا)) فلو علموا ذلك لما فعلوا ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزة وقوة، فكان الأمر بخلاف ما ظنوا.

ب – كما يتخذ تمثيله من الحيوانات مثل الحمار والكلب والبهائم والأنعام ومنها:

١- قوله تعالى في تشبيه من أعرض عن كلامه وتدبره: ((فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)) سورة المدثر: ٤٩/٥٠/٥١. شبه في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة، ففرت منه وهذا من بديع التمثيل فإن القوم في جهلهم بما بعث الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم كالحمر فهي لا تعقل شيئا فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء. فإنهم نفروا عن الهدى الذى فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها، وتحت المستنفرة معنى أبلغ من النافرة، فإنها لشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وخصّه على النفور فإن الاستقلال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرّد فإنها تواصفت بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أن القسورة استنفرها وحملها على النفور ببأسبه وشدته.

٢- وله تعالى: ((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يهدى القوم الظالمين)) سورة الجمعة آية : ٥. فقاس سبحانه من حمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقرأه به بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدّ حقه ولم يرعه حق رعايته.

٣- وفي تشبيه من أثر الدنيا وعاجلها على الله، والدار الآخرة، مع وقور علمه بالكلب في لهثه سر بديع وهو أن هذا الذى حالته ما ذكر الله من انسلاخه من آياته، وإتباعه هواه إنما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى، والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها، ولهفه يظير لهف الكلب الدائم في حال ازعاجه وتركه، ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذى انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عليها، وهذا يلب من قلة صبره على الماء[٦].

٤- وقوله تعالى: ((ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)) سورة البقرة، الآية: ١٧١، فتضمن هذا المثل ناعقا أي مصوّتاً بالغنم وغيرها ومنعوقاً به وهو الدواب، فقيل الناعق العابد وهو الداعى الصنم، والصنم هو المنعوق به المدعو وإن حال الكافر في دعائه كحال من ينعق بما لا يسمعه، والمعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع بنفقته بشيء غير أنه في دعاء ونداء وكذا المشرك ليس له من دعائه وعبادته إلا العناس وقيل: المعنى ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه مما يقول الراعي أكثر من الصوت فالراعي هو داعى الكفار والكفار هم البهائم، المنعوت بهم المنعوق قال سيبويه المعنى ومثلك يا محمد ومثل الذى كفروا كمثل الناعق والمنعوق به وعلى قوله فيكون المعنى ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق بها، ذلك أن تجعل هذا من التشبيه المركب وأن تجعله من التشبيه المفرق، فإن جعلته من المركب كان

---

[٦] أ.د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، الجزْء ٦, ص ١٢٥

تشبيها للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينعق بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت المجرد الذى هو الدعاء والنداء وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمنزلة البهائم، ودعاؤهم إلى الطريق والهدى بمنزلة النعيق وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء، كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق والله أعلم.

٥- وقوله تعالى : ((أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)) فشبه أكثر الناس بالأنعام والجامع بين النوعين التساوى في عدم قبول الهدى والانقياد له وجعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام لأن البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق. فلا تحيد عنها يمينًا ولا شمالاً والأكثرون يدعونهم السبيل فلا يستيجبون ولا يهتدون ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم والأنعام تفرق بين ما يضرّها من النبات والطريق فتجتنبه وما ينفعها فتؤثره والله تعالى لم يخلق للأنعام قلوباً تعقل بها ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول والقلوب والألسنة والأسماع والأبصار فيهم أضل من البهائم فإن من لا يهتدى إلى الرشد وإلى الطريق مع الدليل له أضل وأسوأ حالا ممن لا يهتدى حيث لا دليل معه.

جـ - ويستمد صوره من النبات والشجر ومنه

١- قوله تعالى: ((مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل برّ بمن بذر بذراً فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف بحسب حال المنفق

وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، وتقع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص (والتشبت) عند النفقة وهو إخراج المال بقلب ثابت، قد انشرح صدره بإخراجه، وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غير جزع ولا هلع، ولا متعبة نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه وبحسب طيب المنفق وذكائه.

وتحت هذا المثل من الفقه، إنه سبحانه شبّه الإنفاق بالبذر، فالمنفق ماله الطيب لله لا لغيره، باذر ماله في أرض زكية مغلة بحسب بذره وطيب أرضه، وتعاهد البذر بالسقي ونفى الدغل والنبات الغريب عنه، فإذا اجتمعت هذه الأمور، ولم تحرق الزرع نار ولا لحقته حائحة جاء أمثل الجبال وكان مثله كمثل حبة بربوة. وهي المكان المرتفع الذى تكون الحبة فيه نصب الشمس والرياح فتربي الأشجار هناك أتم تربية فنزل عليها من السماء مطر عظيم القطر متتابع فرواها ونماَّها فآتت أكلها ضعفي ما تؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل، وإن لم يصبها وابل فطل مطر صغير القدر بكيفها لكرم منبتها.

٢- قوله تعالى : ((ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل حبة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل)) والمعنى مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع، وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً، أصابها وابل، مطر عظيم، فآتت أكلها، ثمرتها، ضعفين مثلما كانت تثمر بسبب الوابل ((فإن لم يصبها وابل فطل)) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة

والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلبوا بها وجه الله ويبذلوا فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده.

٣- وقوله تعالى : ((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت)) سورة يونس الآية: ٢٤. إلى قوله تعالى : ((كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)) سورة يونس:٢٤. شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزّين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغتراراً منه بها حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها سلبها بغته أحوج ما كان إليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالأرض الذى ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتيها أمر الله، فتدرك نباتها الآفة بغتة فتصبح كأن لم يكن قبل فيخيب ظنه فتصبح يداه صفراً منها هكذا حال الدنيا والواثق بها سواء. وهذا من أبلغ التشبيه والقياس ولما كانت هذه الدنيا عرضة لهذه الآفات، والجنة سليمة منها قال تعالى: ((والله يدعو إلى دار السلام)) سورة يونس الآية ٢٥. فسمّاها هاهنا دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا فعم بالدعوة إليها، وخص بالهداية من شاء فذاك عدله وهذا فضله.

٤- وقوله تعالى: ((وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته، حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلناه به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون)) سورة الأعراف، أية ٨٧، أي: أننا كما أحيينا الأرض بعد موتها بإنزال الماء عليها، وإخراج النبات

والثمرات منها، نخرج الموتى من الأرض ونبعثكم أحياء في اليوم الآخر، والتشبيه تمثيلي فوجه الشبه في إخراج الأموات بإخراج النبات أن المنزلة فيهما سواء، فالقادر على أحدهما قادر على الآخر في مقتضى العقل، وفي الآية احتجاج على من ينكر البعث.

٥- وقوله تعالى : ((إنما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)) سورة يونس: ٢٤.

شبه حال الدنيا وهي تسحر الناس وتبترهم بما فيها من نعيم ومتاع وتخدعهم بما فيها من زخرف وضياء، فيغرقون في ملذاتها بعد أن وهموا أنهم متحكمون فيها، قادرون عليها، ثم بغتة يدركون قصر زمانها وسرعة انقضائها وزوال ملذاتها، وإنها قد حيل بينهم وبينها، شبه ذلك المعنى بصورة الأرض ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر فيغتر به، ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فتدركها الآفات بغتة وتصبح كأن لم تكن، فيخيب ظنه، ويفشل مراده، فهكذا حال العقل وحال من يثق بها ويركن إليها ((والتشبيه في الآية أحسن موقعاً، وأبلغ معنى من جميع ما وصف به حال الدنيا وميل النفوس إليها)).

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ((واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدراً)) سورة الكهف : ٤٥.

فهو يشبه حال الفاتنة الفانية بحال النبات في نضرته وجفافه وإذراء الرياح له فتفرقه وتنثره في كل مكان فلا ينتفع به. ونظير الآيتين السابقتين في تشبيه حال الدنيا قوله تعالى: ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)) سورة الحديد، آية: ٢٠.

فهو يشبه حال الدينا وذهاب نعيمها وقلة نفعها من الاستغراق في ملاذها وجعلها الهدف الأسمى، بحال النبات يخلب الإنظار بنضرته، ثم يصفر فجأة بعد الخضرة، ويبس بعد النضرة، ويصبح حطاما وهشيما، فوجه الشبه في الآيات الثلاث مركب من الاغترار بالشيء ومظنة دوامه والتهالك عليه، ثم زواله وانقضاؤه فجأة كأن لم يكن فهو من التشبيه التمثيلي.

٦- وقوله تعالى: ((محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملو الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً)) سورة الفتح : ٢٩.

أصحاب محمد عليه السلام فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين ولين ورحمة مع إخوانهم المؤمنين، فيهم خشوع وخضوع، وركوع وسجود يبتهلون بالدعاء إلى الله ابتغاء فضله ورضوانه، وقد وصفهم الله تعالى بهذه الصفات في التوراة والإنجيل. ((فكانوا في بدء الإسلام قلة، ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً بعد يوم حتى أعجبوا الناس)) فصاروا مثل زرع أثمر وأينع ثم اشتد واستغلظ،

ثم استوى واستقام، فصار في أبهر صورة تعجب خاصة الزراع، وإذا أعجب أهل الزرع فهو أدعى بأن يعجب العامة من الناس.

فقد تضمنت الآية ما في صفات الصحابة من المدح بشدتهم على الكافرين ورحمتهم بالمؤمنين، وطلبهم فضل الله ورضوانه في ركوعهم وسجودهم، كما تضمنت التشبيه بالزرع الذى يستمر في نمائه حتى يستوى على سوقه يعجب الزراع فيغيظ الكافر الحاسد، فوجه الشبه مركب من التدرج في النمو، والتحول من القلة إلى الكثرة إلى الاستحكام والقوة فهو من التشبيه التمثيلي.

الهيئة التي يثبت بها الله قلبه ويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله عز وجل وواطأ قلبه ولسانه في هذا النفى والإثبات وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربه ذلالا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً كما لا ينبغى سوى معبوده الحق فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرها من العمل الصالح الصاعد إلى الله تعالى وهذه الكلمة الطيبة، تثمر كثيراً طيباً كلماً يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيّب كما قال تعالى ((إليه يصعد الكلم الطب والعمل الصالح يرفعه)) سورة الفاطر، الآية: ١٠، فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملاً صالحاً لكل وقت.

والمقصود أن كلمة التوحيد إذا شهد المؤمن بها عارفاً بمعناها وحقيقتها نفياً وإثباتاً منصفاً بموجبها قائماً قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من هذا الشاهد أصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعه متصلة بالسماء وهي مخرجة لثمرها كل وقت ومن السلف من قال: ((إن الشجرة الطيبة هي النخلة)).

٧- وقوله تعالى : ((أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل. فإما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)) سورة الرعد الآية: ١٦. شبّه الوحي الذى أنزله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذى أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبّه القلوب بالأودية ، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماءً كثيراً، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير، فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها، كما أن السيل إذا خالط الأرض ومرّ عليها احتملت غثاءً وزبداً، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذهبها كما يثير الدواء فإنه أثارها ليذهب بها، فإنه لا يجامعها ولا يساكنها: ((ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله)) سورة الرعد : ١٣. وهو الخبث الذى يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيرمى ويطرح ويذهب جفاءً. فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويخفوها كما يطرح السيّل والنار ذلك الزبد والغثاء والغيث، ويستقر في قرار الوادي، الماء الصافي النقي الذى يسقى منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم كذلك يستقر في قرار القلب وجدره الإيمان الخالص الصافي الذى ينفع صاحبه وينتفع به غيره.

٨- وقوله تعالى: ((يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن إثم، ولا تجسسّوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)) الحجرات : ١٢. وهذا

من أحسن القياس التمثيلي فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب تمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت، ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه بنفسه يكون غائباً عن ذمه كان بمنزلة الميت الذى يقطع لحمه، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه، ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتناصر معلق عليها المغتاب ضد مقتضاه من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه، والأخوة تقتضى حفظه وصيانته والذب عنه، ولما كان المغتاب متفكهاً بغيبته وذمه متحلياً بذلك شبِّه بأكل لحم أخيه ميتاً، ومحبته لذلك، قدر زائد على زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه، ومطابقته المعقول فيه للمحسوس، وتأمل أخباره عنهم بكراهة آكل الآخر ميتاً، ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم أولها أن يحب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره فاحتج عليهم بما كرهوا على ما أحبوه، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليه وهم أشد شيء نفرة عنه، فهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكون أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه وبالله التوفيق.

هـ الخاتمة:

إن القرآن معجزة في بلاغته وفنه وأدبه وهو منبع الأدب ينهل منه الأدباء حيث يجعلهم فصحاء بارعين. ويتأثرون به في تعبيرهم ولسانهم ويقتبسون من أساليبه الجميلة الرائعة التي تؤثر الألباب والقلوب.

إن أساليب القرآن الكريم لها قيم الأدب العالية البديعة في كل جملة بل في كل حرف من حروفه أن القرآن معجزة لا يستطيع أحد من الفصحاء والبلاغاء بالعربية على أن يأتوا بأقصر صورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

إن معرفة التشبيهات التمثيلية في فهم القرآن الكريم مهمة جدًّا لأن فيه تمثيلات كثيرة تصور معانيها في أبلغ صورة وأوضح المعاني ولا يفهم هذا الجانب من القرآن فهماً صحيحاً إلا بدراسة هذه التشبيهات التمثيلية التي هي أصل أصيل في بلاغة القرآن وإعجازه.

المراجع

أحمد مطلوب، فنون البلاغة، البيان – البديع، الطبعة الثانية : دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥ م : ٥١ – ٥٦

أ.د. وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، الجزْء ٦

عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة – مصر، ١٩٨٥

عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، الطبعة الثانية، دار النهضة، القاهرة – مصر، بدون السنة

عبد القاهرالجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان،الطبعة الثالثة، دارالفكر، بيروت – لبنان بدون السنة

عبد المتعال الصعيدي بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الادب، القاهرة

_____ البلاغة العالية علم المعاني، مكتبة الاداب، القاهرة